

دراسة معاصرة للجد، والفتح، والخيال في نتاجات ناصر خسرو

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٧/٢١ هـ. ش

تاريخ القبول: ١٣٩٠/٨/٢٦ هـ. ش

فاطمة حيدري*

زرين تاج پرهيزگار**

الملخص

جعل ناصر خسرو قبادياني الشاعر، والكاتب، والفيلسوف في القرن الخامس الهجري آثاره في النظم والنثر، منهجا للتعاليم الدينية، وتمتاز أشعاره بروح الوحي السماوي، وهي مفعمة بالحكمة والوعظ والزهد، كما أن آثار الشاعر المنشورة جاءت في بيان المسائل الفلسفية والمسائل الدينية الدقيقة، وتأويل الأحكام والعبادات وتفسيرها. والملفت للنظر في ديوان ناصر خسرو أنه لجأ في أشعاره إلى المصطلحات الخاصة حيث لا يمكن فهمها ودرك معناها إلا بعد الإلمام بآثاره المنشورة. ومن خلال هذا البحث نتطرق إلى مصطلحات الجد، والفتح، والخيال.

الكلمات الدليلية: الجد، الفتح، الخيال، دراسة معاصرة، الشعر الفارسي، الأدب الفارسي.

*. أستاذة مساعدة بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، إيران.

** أستاذة مساعدة بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، إيران.

المقدمة

الفرقة الإسماعيلية هي إحدى الفرق الشيعية، اتخذ أصحابها إلى جانب ترويض أفكارهم مكتبا فلسفيا؛ يعتبر أبوحاتم الرازي من دعاة وحيد الدين الكرمانى حجة العراقيين أحد مؤسسيه. (سجادي، ١٣٧٩ش: مقدمه ٩) ومن علماء هذه الفرقة أيضا، محمد بن أحمد نسفى، وأبو يعقوب السجستاني اللذين لجئا إلى الفلسفة فى الإلهيات دون أن ينخرطا فى سلك الفلاسفة، مما جعل علم الكلام والإلهيات لدى الفرقة الإسماعيلية روحانيا بمعنى الكلمة وبقي يمتاز بهذه السمة. (دفتري، ١٣٨١ش: ١٩) وبادر ناصر خسرو (٣٩٤-٤٨١ق) فى بداية عهد السلاجقة، إلى ترويض الفكرة الإسماعيلية، وبما أنه كان ملما بالأفكار الدينية والفلسفية التى كان يحملها كبار علماء الإسماعيلية ودعاتهم ممن سبقوه، كلفه المستنصر بالله، خليفة الفاطميين الدعوة إلى هذه الأفكار فى جزيرة خراسان كميلغ. وتعتبر خراسان إحدى الجزر الإثنى عشرة التى اختارتها الفرقة الإسماعيلية لنشر أفكارها فيها. (فروزانفر، ١٣: ١٥٦) وكان ناصر خسرو يرى نفسه مكلفا بتعليم بواطن الأمور من الأحكام والعبادات وفق التعاليم التى أخذها عن الدين الإسلامى، لهذا نراه بعد أن لقب بالحجة، يقوم بمهمته فى نشر التعاليم عبر أشعاره وآثاره فى النثر. وتمتاز آثار الشاعر ناصر خسرو سواء المنظومة منها والمنثورة، بالمصطلحات الفلسفية والحكمية. ويبدو من آثاره وآثار بقية العلماء أمثال أبى يعقوب السجستاني، ومؤيد الدين الشيرازى، وأبى حاتم الرازى، وحמיד الدين كرمانى، أنهم أضفوا إلى عقائدهم طابعا فلسفيا عبر اللجوء إلى باطن الأحكام وتأويل ظواهره. (سجادي، ١٣٧٩ش: ١٤٢)

وكانت الفكرة الفلسفية لدى أبى يعقوب السجستاني استمرارا لفكرة أستاذه محمد نسفى، إلى أن وصل الدور إلى حميد الدين كرمانى الذى ظهر بعد السجستاني بعدة عقود وأسس نظاما آخر من التفكير الفلسفى، منشأه التشيع الإسماعيلى والفلسفة اليونانية. ولقب السجستاني بحجة العراقيين لدعوته إلى الإسماعيلية فى النواحي المركزية والغربية من إيران والعراق. (رجبى، ١٣٨١ش: ٤٠٥) وقد اتبع ناصر خسرو كأسلافه فلسفة من النوع الأفلاطونى الحديث. يظهر ناصر خسرو فى أثره «زاد المسافرين» و«جامع الحكمتين»

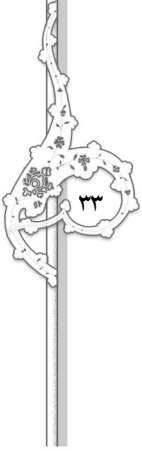


فيلسوفاً وفي «وجه الدين» و«خوان الإخوان» إسماعيلياً. (محقق، ١٣٦٣ ش: ٣٥٩)
ويميز الإسماعيليون بين ظاهر الآيات والأحاديث والأحكام الدينية وبين باطنها،
 ويفصلون بين المعنى اللفظي والظاهرى للشريعة الإسلامية وبين معناها الباطنية وحقيقتها
الروحانية، ويحصلون على المعنى الباطنى من خلال التأويل والاستنباط الباطنى من
الظاهر، لهذا أطلق عليهم اسم «الباطنية». وقد وضع الإسماعيليون التأمل الباطنى على
أساس الفلسفة حتى اعتقدوا أن النصوص الدينية المقدسة، هى رموز وإشارات تدل على
حقائق مخفية وأسرار مكنونة، كما أنهم يعتقدون أن الشريعة بدون تأويل، لا تجد مكانتها
الحقيقية وتكون كجسد بلا روح ومن لم يستوعب باطن الشريعة ينزعج منه النبى: « كما
أن الجسد بلا روح لا قيمة لها، فإن الشريعة لا تعنى شيئاً دون تأويل وتفسير... كلام الله
تعالى وسنة رسول الله إنما يفسر بباطن الكتاب والسنة، ومن لم يعرف باطنه ليس من
الدين فى شىء، والنبى لا يرضى عنه.» (ناصر خسرو، ١٣٨٤ ش: ٦٧-٦٦)

ومن هذا المنطلق كان الاهتمام بالمعانى الباطنية للآيات وأحكام الكتاب والسنة أى
الشريعة، ذا أهمية بالغة لديهم بحيث لا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلا بالشريعة.
واستخدم ناصر خسرو فى الأمور الظاهرية للدين، منها ظواهر الأحكام والطقوس
الظاهرية للشريعة، معنى آخر واستخدم فى آثاره إضافة إلى تأويل الكتاب والسنة،
مصطلحات خاصة بمذهب الإسماعيلية ومراتب الدعوة كالناطق، الأساس، الإمام،
الحجة، الداعى و... ولكل من هذه المصطلحات معناها الخاص ووظائفها الخاصة.

الجد، والفتح والخيال

تجد بين أشعار ناصر خسرو مصطلحات كـ“الجد“، و“الفتح“ و“الخيال، ويبدو أن
ما يتطلبه الشعر من القيود وإيجاز فى البيان منع من أن يترك المجال واسعاً لتفسير تلك
المصطلحات، ولكن بالنسبة إلى النصوص المنشورة بما أنها بحكم عدم تقيدها بالوزن
والقافية وشكلها لا يكون للإيجاز سبيل فيها والحكيم أو الكاتب الذى يكتب أثره فى
سبيل التعليم يقوم بالتأويل وفق التفكير الحكيم والدينى على طريقة أسلافه. ويبدو أن
هذه المصطلحات مقتبسة من ألفاظ القرآن الكريم، وإن كان ناصر خسرو لم يشر فى



آثاره المنشورة نسا والمنظومة شعرا إلى الآيات القرآنية الكريمة، ما يبين أنه كان تابعا لطريقة الدعاة السابقين في استخدام المصطلحات حيث وضعها في سلسلة من المراتب للاستنباط والتأويلات الباطنية واستخدمها في مفاهيم خاصة.

جاءت لفظة جد بمعنى الحظ. (أقرب الموارد)

وقد وردت هذه اللفظة في مثنوى معنوى:

- كل من كد وجهد، يظهر له كنز، ومن جد وسعى حالفه الحظ.^١

(مولوى، ١٣٦٥ش: دفتر الخامس، بيت رقم ٢٠٤٧)

يقول القرآن الكريم حول «الجد»: «إنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا» (الجن: ٣) وفي قاموس القرآن شرح تحت الآية، يقول: «القصد من الجد، العظمة والمنزلة.» وفي الخطبة ١٨٩ من نهج البلاغة جاء: «الحمد لله ... والغالب جنده والمتعالى

جده» والقصد منه العظمة. (قرشى، ١٣٨١ش: ج: ١: ٢١)

ويرى أبو يعقوب السجستاني الذي كان يقوم بالدعوة إلى الإسماعيلية في القرن الرابع الهجري في كتابه "الافتخار" أن سعادة الإنسان وشقاوته يرجع إلى "الجد"، ويبدو أن "الجد" هو حظ الإنسان ونصيبه ويقبل عليه إقبال وينال منه حظوة من يمتلك نفسا طاهرة. (أبو يعقوب السجستاني، ١٩٨٠ش: ٤٣-٤٦)

جاءت لفظة "فتح" في عدة آيات من القرآن الكريم في الآية ١١٨ من سورة الشعراء والآيات ١ و ١٨ و ٢٧ من سورة الفتح.

يقول الله سبحانه وتعالى: «إنا فتحنا لك فتحا مبينا» (الفتح: ١)، الفتح تعنى في اللغة "فك" أو "تفكيك". (قرشى، ١٣٨١ش: ج: ٥: ١٤٥) وفي المصطلح تعنى هذه اللفظة،

الفتاح النهائى للدين. (فرمانيان، ١٣٨١ش: ٥٢)

رأت مريم (ع) جبرائيل على شكل إنسان بقامته. «فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا» (مريم: ١٧) وبهذا يكون الملك الإلهي في مرتبة "الخيال" وسيطا للوحي.

(أبو يعقوب السجستاني، ١٩٨٠م: ٤١٦)



الجد، الفتح والخيال فى الشريعة

فى موضوعات الشريعة، تقع لفظة الجد مقابل جبرائيل، والفتح مقابل ميكائيل، والخيال مقابل إسرافيل، الملاك الثلاث المقربين إلى الله. (المصدر نفسه: ٤٣-٤٤) ولقب جبرائيل فى القرآن بالروح الأمين. «نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين» (الشعراء: ١٩٤-١٩٣) وجبرائيل لقب بهذا الاسم لروحه اللطيفة والروحانية ولأنه أمين الله. ويعلم جبرائيل ما يدور فى أفكار الإنسان، لهذا عرف بالناموس، والناموس بمعنى المعرفة ببواطن الأمور. «هو الناموس الأكبر وصاحب سر الوحي». (مهدي، ١٣٤٧ش: ٤٥٢) يقول الداعية الإسماعيلية (المتوفى عام ٣٦٣ق) فى تأويل (فأرسلناها روحنا) أى الروح الأمين المتصل بالأنبياء من قبل الله عز وجل، ويفسر ضمير "ك" المخاطب، ويرجعها إلى النبى (ص). (قاضى نعمان، ١٩٦٠م: ٣٠٦) يعتقد ناصر خسرو أن جبرائيل أشرف جميع الأرواح واسمه الروح، وهو الروح الأمين، وأمين الله على هذين العالمين. (ناصر خسرو، ١٣٨٥ش: ٤٧٣)

يعتقد حميد الدين كرماني فى كتابه "راحة العقل" بأن هناك ثلاث مراتب للوحي، ويستند فى ذلك إلى الآية ٥١ من سورة الشورى: «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء» يفسر كرماني الوحي حسب تأويله للآية من ثلاثة جوانب:

١- "ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا"

٢- "من وراء حجاب"

٣- "يرسل رسولا فيوحى بأنه ما يشاء"

المرتبة الأولى، يطلق عليها الوحي الصريح، المرتبة الثانية، وحى من وراء حجاب والمرتبة الثالثة وحى عن طريق الرسل. ويعرف المرتبة الأولى بالجد: «وهو الوحي الذى هو القسم الأول المعروف بالجد.» (كرماني، ١٩٥٢م: ٤١٢) والمرتبة الثانية يفسرها بالفتح. (المصدر نفسه: ٤١٣) والمرتبة الثالثة يفسرها بالخيال: «القسم الثالث المعروف بالخيال.» (المصدر نفسه: ٤١٢) ويقول عن الوحي فى قسمه الثالث الذى يتم بواسطة رسل: «أما القسم الثالث الذى هو إرسال رسول يتمثل مثلا بشرا سويا ويعرف بالخيال...

فلا يشارك المؤيد في رؤية ذلك غيره وهو الروح الأمين المسمى بجبرائيل.» (المصدر نفسه: ٤١٦)

ويعتقد بأن المرتبة الأولى «وإن كانت غير عالمه وجهاً آخر من الوحي.» (المصدر نفسه: ٤٠٦) ويقول حول المرتبة الثانية: «وإن كانت ساكنة والمنبئة له، وإن كانت صامتة المعرفة به وإن كانت بها غير عارفة وذلك هو الفتح.» (المصدر نفسه: ٤١٠) والمرتبة الثالثة هي وحي: «فتراها بالحس وتخاطبها وغيرها لا يراها ولا يحس بها وذلك هو الخيال.» (ن.م)

ويقوم تفسير كشف الأسرار بتقسيم مراتب الوحي على هذا النحو، حيث يرى في المرتبة الأولى أن النبي (ص) تحدث مع الحق سبحانه في ليلة المعراج بلا وسيط، وفي المرتبة الثانية أن الأنبياء رأوا الملائكة أو سمعوا كلام الله تعالى من وراء حجاب كما أن موسى (ع) سمع كلام الله تعالى دون أن يراه. والمرتبة الثالثة التي كانت تخص أكثر الأنبياء الذين سبقوا النبي محمد (ص) كانت بصورة إلهام أو منام. (رشيد الدين ميبدي، ١٣٨٢ش، ج ٩: ٤٤)

يقول النبي الأكرم (ص) عن تلقيه الوحي: «بينى وبين ربى خمس وسائط، جبرائيل وميكائيل وإسرافيل واللوح والقلم.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ش: ١٧٠) يقول ناصر خسرو حول هذا الموضوع: قال رسول الله (ص): «بينى وبين ربى خمس وسائط وذكر الأول على أنه جبرائيل... ثم ذكر ميكائيل... ومن ثم إسرافيل... ومن بعده ذكر اللوح والقلم.» (المصدر نفسه: ١٧١)

يعتقد أصحاب الفرقة الإسماعيلية أن تأويل قول النبي هو أنى أخذت الوحي من الخيال والخيال من الجد... وهذه المرتبة تتوالى إلى خمسة علويين. (سلطاني، ١٣٨١ش: ٩٣-٩٢ نقلا عن أعلام الإسماعيليين، ٤٣، أربعة كتب للإسماعيلية، ١١٩ والمجالس المؤيدة، ٦٩)

سأل رسول الله (ص) عن كيفية تلقي الوحي، فأجاب جبرائيل: أنا أتلقى الوحي من جانب ملك أعلى مرتبة منى وهو من ملك أعلى مرتبة... ثم سأل النبي (ص): إذن كيف يتلقى ذلك الملك الوحي؟ أجاب جبرائيل: ينزل الوحي على قلبه إلقاء وإلهاما.



(المصدر نفسه: ٩٤ نقلا عن قواعد وعقائد آل محمد، ٨٨)

يعتقد الإسماعيليون في سلسلة الصوادر أن العقل والنفس من الأصول الأولية وفي مقابل هذا الرأي، يولد من الأصل الثاني وهو (النفس) بأمر من الأصل الأول (العقل) ثلاثة وجود روحانية أو ثلاثة حدود (أبعاد) وهي: الجد، والفتح، والخيال، وتساوي ثلاثة ملائكة مقربين وهم؛ إسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل؛ ويلعبون دور الوسيط بين الإنسان والعالم الروحاني والواصل بين الرب والناطق. (خراساني فدايي، ١٣٧٣ش: ١٦)

يعتقد ناصر خسرو أن «كل ما هو موجود في العالم المحسوس فهو أثر مما يوجد في العالم العلوي». (ناصر خسرو، ١٣٦٣ش: ١٠٩) ولهذا يقسم مراتب الأنوار الأزلية السبعة على النحو التالي منتسبا نور الكواكب السبعة إلى الأنوار الأزلية: ١. الإبداع ٢. جوهر العقل ٣. مجموعة العقل (يتشكل من ثلاث مراتب العقل والعقل والمعقول) ٤. النفس ٥. الجد ٦. الفتح ٧. الخيال، وبرأيه يوجد في ظاهر الشريعة ثلاثة حدود أو أبعاد متناهية تساوي إسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل. (ن.م)

أسماء العقل، والنفس، والجد، والفتح، والخيال، «ظاهر الكتاب والشريعة، القلم واللوح وإسرافيل وميكائيل وجبرائيل». (المصدر نفسه، ١٣٠٤ش: ١٣٨) وفي عالم الدين يساوي الرسول، والوصي، والإمام، والحجة، والداعي. (ن.م)

نظرة إلى آراء أسلاف ناصر خسرو

يعتبر أبوحاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٢ق أشهر دعاة الإسماعيلية، وكان يقوم بنشاطات دينية في ديلم وطبرستان وأصفهان وري. (صفا، ١٣٧١ش: ج ١: ٢٤٧) ويتمتع الإله في كتابه «الإصلاح» من التنزيه المطلق، ويرى علة العلل العالمية في أمر الإله في لفظة (كن)، ويتحد مع العقل الأول (السابق أو القلم)، وبعد الإبداع الأول، تصدر منه النفس المطلقة (التالية أو اللوح)، وتنشأ من النفس الهيولي الأول (العنصر الأول) ومن الهيولا تنشأ الصورة^١ (فرمانيان، ١٣٨١ش: ٤٥-٤٦)

١. يرى الكاتب أن القدر نفس التقدير، وهي تساوي النفس المطلقة والقضاء فعلة. (فرمانيان، ١٣٨١ش: ٤٧) وغير التحقيق حول القضاء والقدر، فإن آراء الرازي مقبولة من قبل بعض علماء الإسماعيلية.



ويوافق بعض العلماء على سلسلة الصوادر المتمثلة بالجد، والفتح، والخيال مع اختلاف بسيط حول الأمر. وهذا الترتيب في الصدور يعتقد به محمد نسفى، وحميد الدين كرماني أيضا يرى سلسلة الصوادر على هذا النحو وإن انتقد نسفى في رأيه القائل بأن الله تعالى يكون مبدعا لـ لا شىء (الأمر) وفي نفس الوقت يكون شيئا (العقل). ولم يعثر على أى أثر لـ «محمد بن أحمد نسفى» المتوفى سنة ٣٣١. (صفا، ١٣٧١ش: ج ١: ٢٤٧) ولكن بعض آرائه جاء في كتاب «الإصلاح» لأبى حاتم الرازى. ويعتقد أن الله مبدع الشىء ولا شىء ومنزه فى نفس الوقت. (المصدر نفسه: ٤٧-٤٨)

يعتقد «أبو يعقوب السجستاني» الذى كان يدعو إلى الإسماعيلية فى القرن الرابع الهجرى فى كتاب الافتخار أن الله تعالى أكبر من يكون لفظا يوصف به ولا يجوز استخدام الهوية له سبحانه، وإن كنا ننسب له صفات كالبارى، والفرد، والأحد. كما أنه يعتقد أن عالم الوجود كله مخاطب من قبل الله سبحانه وتعالى ونشأ دفعة واحدة، ثم أخذ يتعين شيئا فشيئا وتحول إلى الفعل. والأمر الإلهى ليس بالشىء، وإنما الشىء هو العقل الأول (السابق، القلم، القضاء، الكرسي، والشمس والقرآن) الذى خلق بواسطة الأمر. والنفس الشامل هو (العقل الثانى، اللوح، التالى، العرش، القدر والقمر) وتنشأ عن العقل الأول، وبعد السابق والتالى تنشأ ثلاثة وجود روحانية - وهى تمد الناطقين والأئمة - أى الجد، والفتح، والخيال. (أبو يعقوب السجستاني، ١٩٨٠م: ٣٨-٤٢)

وأما ناصر خسرو فهو يتبع إلى حد ما رأى السجستاني، لأنه يعتقد أن العقل الأول يفيد النفس المطلقة من أمر البارى تعالى، والنفس المطلقة تفيد «الجد» والجد يفيد «الفتح» والفتح يفيد «الخيال»، وفى سلسلة المراتب يتم الإكساب والإفادة من المراتب العلوية إلى المراتب الدونية، والناطق الذى هو من العالم المحسوس يأخذ تأييده من مرتبة الخيال ويوصله إلى مرتبة الوصى وينقل الوصى إلى مرتبة الإمام. ويعتقد ناصر خسرو أن هؤلاء الأشخاص فى العالم المحسوس يأخذون التأييد من العالم العلوى. (ناصر خسرو، ١٣٧٠ش: ١٧٦)

والتطرق إلى هذا الموضوع يدل على أن بعد مراتب الإمامة السبعة التى تأخذ تأييدها من العالم العلوى، البقية بحكم خلفاء هؤلاء الثلاثة ومراتب الدعوة كالباب



والحجة و... تكون بحكم الخلفاء والنواب وتوريث الإمامة في هذا القسم ينقطع.
يعتقد السجستاني أن سعادة الإنسان وشقاوته تعودان إلى «الجد»، والجد هو الحظ والنصيب، وعندما يختار الجد نفسا زكية ويشمله التفاتا منه وحظوة يصبح مهذبا في عصره، أي مرشدا يهدى الناس إلى رضوان الله تعالى، وحسب عقيدته الجد في الشريعة مقابل جبرائيل، وعندما يختار الجد أو جبرائيل نفسا زكية، تشرق الأنوار الإلهية بصورة إجمالية قلبه، ما يحتاج إلى تفسير وتأويل، والله سبحانه يؤيده ويمده بقوة ثانية وهي «الفتح»، بحيث يصبح بإمكانها أن تؤول متشابهات القرآن الكريم وتصل إلى السعادة الروحانية. «الفتح» يكون بمثابة وزير لـ«الجد» وفي الشريعة مقابل ميكائيل. في الواقع يبين «الفتح» ما أبقاه «الجد» مجملا وهو فاتح لمكونات الدين، ولكن السعادة المطلقة تحصل عندما يؤيد الخيال النفس الزكية التي يختارها الجد ويجعل الإمامة في سلالته. يساوي «الخيال» في الشريعة إسرافيل. (أبويعقوب السجستاني، ١٩٨٠م: ٤٣-٤٦) بهذا يكون الخلاف واضحا إلى حد ما بين ما يعتقد به السجستاني، وما يعتقد به الفاطميون المصريون حول استمرار الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق (ع). وهو الذي كان في بداية حياته يميل إلى جناح القرامطة، رفض رأى عبید الله مهدي ومطالبته بالإمامة وقيامه بهذا الأمر، وإن التحق فيما بعد بإسماعيلية الفاطميين بعد أن قام معز الفاطمي بتعديلات في آراء الفرقة الإسماعيلية واعترف به إماما سابعا وقائما وناطقا. (دفتري، ١٣٦٩ش: ج ٨، ٦٩ وما بعده)

يعتقد أبويعقوب السجستاني أن الجد، والفتح، والخيال في ظاهر الشريعة تساوي جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، أما الجد في موضوعات مراتب الدعوة فيعادل الرسول، والفتح يعادل الوصي والخيال يعادل الإمام، في حين أن حسب رأى ناصر خسرو الجد يعادل الإمام، والفتح يعادل الحجة والخيال يعادل الداعي. (ناصر خسرو، ١٣٦٣ش: ١٥٥) ويظهر هذا الخلاف من منطلق رأى يتمسك به أبويعقوب وهو ما يجعل الجد معادلا لجبرائيل، والفتح مقابل ميكائيل، والخيال مقابل إسرافيل.

يفسر حميد الدين كرماني وهو أبرز فلاسفة الإسماعيلية في القرنين الرابع والخامس الهجريين والملقب بحجة العراقيين، يفسر في كتاب «راحة العقل» العقائد الفلسفية،



وتأويلات الإسماعيليين. يعتقد كرماني أن الإله وراء الكون. (كرماني، ١٩٥٢م: ١٣٠-١٣٢) ولا يستخدم لفظه واجب الوجود للرب، لأنه يعتقد أن الإله لا يتصف بأى صفة وهو فوق الكمال والجمال، ومنه يحصل الوجود عن طريق الإبداع و«لا من شيء» وهذا الوجود هو العقل الأول (الشيء الأول) والعلّة الأولى ونهاية الانتهاء وجميع الكائنات تدل على وجوده وهو يدل على وجود الله سبحانه وتعالى وينبعث منه شيئان، الشيء الأول المنبعث منه، النفس المطلقة (العقل الثاني) والشيء الثاني الذي ينشأ عنه، ثمانية عقول أولها الهيولى والصورة. (المصدر نفسه: ١٣٠-١٣٢)

يقول ناصر خسرو وهو أحد الدعاة الإسماعيليين الكبار في القرن الخامس الهجري حول أنواع «الوجود»: «إن الوجود على وجهين، الوجه الأول يدعى واجب الوجود والثاني ممكن الوجود.» (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ٣٩) ويعد العالم ممكن الوجود الذي ينبغي أن يكون قد نشأ من واجب الوجود أى العقل الموجود، ثم يطرح الوجود المطلق وهو عبارة عن أمر الرب سبحانه وتعالى: «هو أمر البارى عز اسمه وهو وجود مطلق، وجود ليس من وجود موجود.» (المصدر نفسه: ٤٠) ومن هذا المنطلق يكون البارى عز اسمه أعلى من الوجود، ورأيه فى هذا مثل رأى كرماني.

«عندما احتفظ نسفى والرازى والسجستاني بعض الألفاظ المتعلقة بأيدولوجية الإسماعيلية الأولية، كالجد والفتح والخيال مقابل معان أخرى فى نظام الأفلاطونية المحدثة، تجاهل كرماني تقريبا جميع الألفاظ والمفاهيم المتقدمة.» (دفترى، ١٣٦٩ش: ٦٩٥) ويعتقد أن الجد، والفتح، والخيال تعادل حسب الترتيب إسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل.

يرى ناصر خسرو أن أصل الوجود يبدأ من «الأمر» أو «الكلمة» أو «كن»، كما يعتقد أن أول شيء ينشأ من أمر البارى تعالى هو العقل الأول أو العقل الكل. ويستفيض العقل الكامل من الأمر ويفيض بالشيء الذى يخلقه، والنفس الكاملة أو المطلقة تنبعث عن العقل الكامل أو المطلق. ويرى أن الهيولى أو الصورة تنبعث من النفس المطلقة، ويعتبر ناصر خسرو العقل المطلق بمثابة القلم والنفس المطلقة بمثابة اللوح. فى أيدولوجية ناصر خسرو، ترى أنه حتى فى العالم العلوى لا بد من وجود الأزواج، وتعد ضرورية



ويرى العقل المطلق هو السماء والنفس المطلقة هي الأرض وولد منها الجد والفتح والخيال.

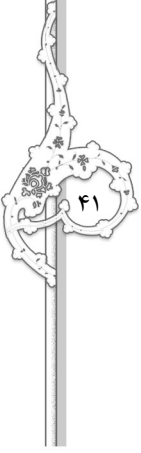
وللرسم البياني (المنحني) الفلسفي لما جاء ذكره، صورة جسمانية أو محسوسة. وتعتبر الأفلاك والنجوم في العالم الجسماني المحسوس، الأب والعناصر الأربعة، الأم، والأولاد هم المعادن والنباتات والحيوانات، والناس درجات حسب المستوى العلمي الديني الذي يمتلكه ناصر خسرو، وهي في نظام دعايته الدينية: الناطق، والوصي، والإمام، والباب، والحجة، في الواقع الصورة التي يرسمها ناصر خسرو من العالم الإنساني هي مقتبسة من الرسم الهندسي للعالم العلوي ونظيره ما يعنى العالم المحسوس، بالنحو الذي يكون الناطق في العالم الروحاني بحكم العقل المطلق، والوصي بحكم النفس المطلقة يولد منهما الأولاد الثلاثة الروحانيون، ويعرفون بألقاب الإمام والباب والحجة، وتعادل المواليد الثلاثة للعالم الروحاني، المواليد الثلاثة للعالم العلوي. (ناصر خسرو، ١٣٥٩ش: ١٧٢-١٧٣) والتأييد يصل من العالم العلوي إلى العالم الروحاني عبر الأمر لإلهي.

أيدولوجية ناصر خسرو

تشمل أيدولوجية ناصر خسرو نوعاً من التفكير الأسطوري العرفاني حول الخلقة وهو نابع من النظام الفكري الذي ورثه من أسلافه. يعتقد ناصر خسرو أن الأصليين الأولين، أوجدا الأبعاد الثلاثة الروحانية في العالم العلوي وتسمى الجد والفتح والخيال. ودور هذه الأبعاد أو الحدود الروحانية التي تطابق إسرافيل وميكائيل وجبرائيل «إيجاد رابطة بين العالم الروحاني والعالم الجسماني أو المحسوس من جهة، والرب والناطق من جهة أخرى. والعالم المحسوس أو السفلي خلقه الله تبارك وتعالى عبر ذلك الأصليين.» (دفتري، ١٣٦٩ش: ٦٨٩-٦٨٨) ويذكر من هذه المصطلحات الثلاثة أشكال مختلفة:

١- الأبعاد الروحانية

يعتقد ناصر خسرو بخمسة أبعاد (حدود) جسمانية (محسوسة) وخمسة أبعاد (حدود) روحانية، أما الأبعاد الروحانية فهي باقية على حالها ورجعة عن حالتها قط، وهذه الأبعاد الخمسة: الأول، الثاني، الجد، الفتح، الخيال. (ناصر خسرو، ١٣٨٤ش:



١٠٩-١٠٨) القصد من الأول والثاني العقل والنفس. (المصدر نفسه: ٢١٣) ويتطابق هذا الحكيم الحدود الروحانية مع ما وضع لها في الشريعة (موضوعها في الشريعة) والتي تربي النفس برفقة الحدود الجسمانية أو المحسوسة: «هناك عشرة أبعاد (حدود)، لتربية النفس، خمسة منها روحانية وهي القلم واللوح وإسرافيل وميكائيل وجبرائيل وخمسة منها جسمانية محسوسة كالرسول والوصي والإمام والحجة والداعي». (المصدر نفسه: ٢٠)

الأبعاد:

الروحانية: القلم، اللوح، إسرافيل، ميكائيل، جبرئيل. (الأول، الثاني، الجد، الفتح، الخيال)
الجسمانية: الرسول، الوصي، الإمام، الحجة، الداعي.

تعتبر الأبعاد الروحانية وسيطا بين النفس المطلقة والناطقة. (المصدر نفسه: ٧٦-٧٧)

٢- ثلاثة فروع روحانية

يعتبر العقل والنفس هما الأصلين الروحانيين، وبواسطتهما أنشأت الفروع الثلاثة الروحانية، وهذه الفروع الثلاثة أصبحت بدورها وسيطا لنشوء أربعة فروع أخرى: «في عالم الدين أنشأت أربعة فروع من أمر الباري سبحانه وبواسطة العقل والنفس وبواسطة ثلاثة فروع روحانية... والفروع الأربعة: الناطق والأساس وفرعان وهما الإمام والحجة». (المصدر نفسه: ٢١٣)

إن الأصول والفروع الروحانية لعالم الدين هي: العقل، النفس، الجد، الفتح، الخيال، الناطق، الأساس، الإمام، الحجة، يعتبر ناصر خسرو الدين هو أصل الأصول ويرى أنه فرعان وكل فرع منه «فرع أعلى منه وأصل أدنى منه». (المصدر نفسه: ١٥٤)
أحد هذه الفروع مقتبسة من المراتب الروحانية والآخر مقتبس من مراتب الدعوة في الدنيا. (المصدر نفسه: ١٥٥)

الدين:



العقل المطلق	النفس المطلقة	الجد	الفتح	الخيال
الرسول	الوصي	الإمام	الحجة	الداعي

يستفيض الرسول من الفروع الثلاثة الروحانية وهي الجد، الفتح والخيال، والوصي يستفيض من الفرعين الروحانيين الفتح والخيال، «ونصيبه من الجد يكون بواسطة الناطق وليس بذاته.» (المصدر نفسه، ١٣٨٤ ش: ٧٨) وأيضا (المصدر نفسه: ١٤٦) وإن كان الإمام يستفيض من الخيال وينقل الإفاضة إلى الحجة. (ن.م) وبهذا يكون الرسول مستفيضا من مراتب الوحي الثلاثة.

٣- الأبعاد (الحدود) العلوية

يرى هذا الحكيم في موقف آخر أن للخلقة (التكوين) ثلاثين حدا، خمسة منها علوية، ويقع العقل والنفس والجد والفتح والخيال في هذه الحدود، والحدود الخمسة والعشرون البقية جسمانية وهي سبعة ناطقة، سبعة أساس، سبعة إمام، الباب، الحجة، الداعي، المأذون. (المصدر نفسه: ١٦٤) ومن وظائف الحدود الجسمانية أو مراتب الدعوة، نقل العلم إلى مراتب دونية: «حجة العلم تمنح النطق للناس والطالبين، والإمام يمنح الحجة بالأمر والخيال.» (المصدر نفسه: ١١٦)

يعتقد الإسماعيليون أن بعد العقل المطلق والنفس المطلقة يأتي دور الملائكة الثلاث "الجد، الفتح والخيال" ويعتبرون الخمسة معا بحكم خمسة حدود علوية، كما يعتقدون أن الأنبياء والقائم، وعددهم سبعة ويطلق عليهم الناطق، هم مظهر من مظاهر العقل المطلق، ومن نوع الوصي أو أساس مظهر النفس المطلقة، ثم الأئمة يأتون في مرتبة ما بعد الوصي أو الأساس. (ناصر خسرو، ١٣٠٤ ش: ٣٦)

٤- النور

يعبر ناصر خسرو عن المراتب الثلاثة الجد، الفتح والخيال بالنور. وهذه الأنوار الثلاثة متصلة بالنفس الناطقة والنوران الفتح والخيال متصلان بالأساس. (المصدر نفسه: ١٤٨) ونور الخيال متصل بالإمام. (المصدر نفسه: ١٤٦) وكل من هذه المراتب تستفيض من المراتب الأعلى حتى «ينشأ نور العقل والنفس عن طريق الناطق والأساس.» (المصدر نفسه: ٨٢) في الواقع هذه الأنوار بحكم الوسيط بين النفس المطلقة والناطق والأساس



والإمام.

٥- الملاك

يعبر هذا الحكيم عن العقل والنفس كالأبعاد الروحانية الأخرى بالملاك، الناطق مكلف بإظهار الفوائد الروحانية للجد والفتح والخيال: «ظهر الناطق على أن أى نور يهبط من هذين الملكين، يكون فى هذا العالم الجد والفتح والخيال فى استقباله وهذه الثلاثة تسمى الهبوط الثانى.» (المصدر نفسه: ١٤٦) وهو يعتبر الملاك روحا مجردة ويضع العقل، النفس، الجد، الفتح والخيال فى ظاهر الكتاب والشريعة مقابل القلم، اللوح، إسرائيل، ميكائيل وجبرائيل. (المصدر نفسه، ١٣٨٥ ش: ١٣٨)

حسب رأى ناصر خسرو إن فائدة نور الوحي تحصل عبر ثلاثة ملائكة وفق الرسم البيانى التالى:

العقل - النفس - الجد - الفتح - الخيال - الناطق (الرسول) - الأساس (الوصى) - الإمام. (المصدر نفسه، ١٣٨٤ ش: ٩٤-٣ و ١٤٦) تستفيض الروح الناطقة من الحدود الروحانية الثلاثة: الجد، الفتح والخيال، ولكن روح الأساس تستفيض من الفتح والخيال، وروح الإمام تستفيض من الخيال. (المصدر نفسه: ١٤٦)

وهو يعتقد بالإمام المستور أو الغائب «فاذا ما ظهر تنتهى هذه الفترة وتقيم القيامة والجميع يجزى ويعاقب حسب عمله.» (المصدر نفسه: ٥٠) «إذا كان اهتمام النفس المطلقة بشخص يقبل إفاضة العقل المطلق كليا ويصبح سيد القوم، به تكون نهاية العالم، قسم يدعوه المسيح، وقسم آخر يدعوه المهدي وقسم يدعوه القائم.» (المصدر نفسه، ١٣٦٣ ش: ١٢٢-١٢١) وعندما يقول:

إمام الزمان وارث المصطفى ربه يعينه وخلقاه أهله^١

من الحظ سبى بالحظ متصل برحمة أفادنى من الخيال^٢

وبتأبيده أخذ العلم والزهد فى نفسى مقره آمنا^٣ (المصدر نفسه، ١٣٨٧ ش: ٢٥١)

فقصد ناصر خسرو من هذا القول إمام الزمان، المستنصر بالله خليفة الفاطميين وهو

١. كه يزدانش يارست وخلقش عيال

١. امام زمان وارث مصطفى

٢. به رحمت مرا بهره داد از خيال

٢. ز جد چون بد وجد پيوسته بود

٣. گرفته ست در جانم آرام وهال

٣. به تايبید او لاجرم علم وزهد



من جاء في مراتب الدعوة في مرتبة الإمام معتقداً أن روحه مستقبضة من «الخيال» وتفيد هذه الروح ناصر خسرو الذي هو في مرتبة أقل شأنًا منه، علماً وزهداً. (حتى يصبحوا مرتبة الإمام وهم الأولاد ووارثي الرسول الأكرم(ص)).
يقول ناصر خسروه في الأبيات التالية مستخدماً الصناعات اللفظية في إيجاد كلمات مرادفة في المعنى كـ «المستنصر» و«الفتح»، إن نور الخيال تهيئاً حتى ينفذ أوامره ويفيضة بفائدة المعنى الحقيقي:

أفضل الزمان مستنصر عباله الإنس والجن...^١

جوهر العقل من مقاله من وجد العلم كان^٢

الفتح اسمه فتح عظيم لامتثال أوامره تشكل الخيال^٣ (المصدر نفسه: ٢٤٢)

النتيجة

نظراً لوجود أسماء مختلفة أطلق عليها ناصر خسرو لمصطلح الجد، والفتح، والخيال، نستنتج أن الأبعاد الروحانية الثلاثة، والحدود العلوية الثلاثة، والفروع الروحانية الثلاثة التي تقع في مرتبة أعلى من العالم الجسماني المحسوس، تتطابق الأصلين الروحانيين - منشأ تلك الأبعاد - مع مواضعها (ما وضع في مقابلها) في العالم الديني أو العالم الدوني (الجسماني المحسوس) من حيث المعرفة. من جهة أخرى فإن كلا من الأصول والفروع الروحانية الخمسة، ملائكة بمراتب التعيين وبما أنها تحمل صفات الملاك ليست بالجسمانية ومتعلقة بعالم علوى. ومن ناحية فإن هذه المصطلحات الثلاثة أنوار تقتبس ضياءها من الأصلين العقل والنفس، وتنقل بدورها نور الوحي والعلم إلى العالم الدوني، والمراتب الدينية ما تكون وسيطاً بين العقل والنفس من جهة، ومراتب الدعوة من جهة أخرى، في هذه الأثناء يكون خليفة الفاطميين الذي كان يعيش في عصر ناصر خسرو، في مرتبة الإمامة مستفيضاً من نور الخيال، وينقل هذه المرتبة إلى من يأتي بعده.

١. بهترین زمانه مستنصر که عیال ویند انسی وجان ...

٢. جوهر عقل زیر گفته ی اوست گر کسی یافت مر خرد را كان

٣. فتح را نام اوست فتح بزرگ به مثالش خیال بسته میان



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم. ١٣٨٧ش. ترجمة إلهي قشمة اي. دار نشر لقاء. ط ٢. قم.
- أبو يعقوب السجستاني، إسحاق. ١٩٨٠م. الافتخار. باهتمام مصطفى غالب. بيروت: لانا.
- حسيني اجداد، سيداسماعيل. «مكانة الأمثال في الأدب العربي». فصلية دراسات الأدب المعاصر. ربيع ١٣٩٠ش. العدد ٩. صص ٢٥-٤١.
- حميدالدين كرماني، أحمد. ١٩٥٢م. راحة العقل. تحقيق ومقدمة محمد كامل حسين ومحمد مصطفى. القاهرة: دارالفكر العربي.
- الخراساني فدائي، محمد بن زين العابدين. ١٣٧٣ش. تاريخ الإسماعيلية. تصحيح ألكساندر سيميونوف. تهران: دار نشر أساطير.
- دفتری، فرهاد. ١٣٨١ش. تمهيد مجموعة مقالات الإسماعيلية. قم: مركز أبحاث وتحقيقات الأديان والمذاهب.
- دفتری، فرهاد. ١٣٦٩ش. مقالة الإسماعيلية. موسوعة دائرة المعارف الإسلامية. مجلد ٨. تحت إشراف كاظم موسوی بجنوردی. تهران: مركز دائرة المعارف.
- رشيدالدين مبيدي، أبو الفضل. ١٣٨٢ش. كشف الأسرار وعدة الأبرار. مجلد ٩. تهران: نشر أميركبير.
- سجادی، سيد جعفر. ١٣٧٩ش. معجم المصطلحات الفلسفية لملاصدرا (فرهنگ اصطلاحات فلسفی ملاصدرا). تهران: مؤسسة طبع ونشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
- سلطاني، مصطفى. ١٣٨١ش. نبوت از دیدگاه اسماعیلیان (النبوّة ورؤية الإسماعيلية). مجموعة مقالات الإسماعيلية. قم: مركز أبحاث وتحقيقات الأديان والمذاهب.
- صفا، ذبيح الله. ١٣٧١ش. تاريخ ادبيات در ايران (تاريخ الأدب في إيران). مجلد ١. ط ١٢. طهران: لانا.
- فرمانيان، مهدي. ١٣٨١ش. خدا وصفات او در نگاه اسماعیلیان (الإله وصفاته في نظرة الإسماعيلية). مجموعة مقالات الإسماعيلية. قم: مركز أبحاث وتحقيقات الأديان والمذاهب.
- فروزانفر، بدیع الزمان. ١٣٥٠ش. سخن سخنوران. تهران: دار نشر خوارزمی.
- قاضي نعمان، نعمان بن حيون التميمي المغربي. ١٩٦٠م. أساس التاويل. تحقيق ومقدمة عارف تامر. بيروت: دار الثقافة.
- قرشي، سيد على أكبر. ١٣٨١ش. قاموس القرآن. مجلد ١. قم: دار الكتب الإسلامية.
- قرشي، سيد على أكبر. ١٣٨١ش. قاموس القرآن. مجلد ٥. قم: دار الكتب الإسلامية.
- محقق، مهدي. ١٣٦٣ش. بيست گفتار در مباحث علمي وفلسفي وكلامي وفرق اسلامي (عشرون مقولة في المباحث العلمية والفلسفية والكلامية والفرق الإسلامية). تهران: مؤسسة الأبحاث



الإسلامية وجامعة مك غيل.

مولوى، جلال الدين محمد. ١٣٦٥ش. مثنوى معنوى. المجلد الثالث. باهتمام رينولد بين نيكلسون.
تهران: دار نشر مولى.

مهدي، يحيى. ١٣٤٧ش. قصص القرآن المجيد. مقتبسة من تفسير سور آبادى. تهران: منشورات
جامعة طهران.

ناصر خسرو قبادياني، حكيم أبو معين. ١٣٨٤ش. وجه الدين. تهران: دار نشر أساطير.
ناصر خسرو قبادياني، حكيم أبو معين. ١٣٠٤ش. ديوان أشعار. تصحيح سيد نصر الله تقوى. مقدمة
حسن تقى زاده ومينوى. تهران: مطبعة المجلس.

ناصر خسرو قبادياني، حكيم أبو معين. ١٣٦٣ش. جامع الحكمتين. باهتمام محمد معين وهنرى كربين.
تهران: طهورى.

ناصر خسرو قبادياني، حكيم أبو معين. ١٣٨٧ش. ديوان أشعار. تصحيح مجتبى مينوى ودكتور مهدي
محقق. تهران: دار نشر جامعة طهران.

ناصر خسرو قبادياني، حكيم أبو معين. ١٣٨٥ش. زاد المسافرين. تصحيح محمد بذل الرحمن. تهران:
دار نشر أساطير.

ناصر خسرو قبادياني، حكيم أبو معين. ١٣٥٩ش. خوان الإخوان. مقدمة وتصحيح يحيى الخشاب.
القاهرة: مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية.

ناصر خسرو قبادياني، حكيم أبو معين. ١٩٩٨م. گشایش ورهايش (الفرج والخلاص). تصحيح والترجمة
الإنجليزية محمد هونزايى. لندن: لانا.